بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد الالهي في نهج البلاغة

تأليف
آية اللّه الشيخ ماجد الكاظمي

دار النشر چتر دانش

سرشناسه	: کاظمی، ماجد، ۱۳۳۷ -
عنوان قراردادی	: نهج‌البلاغه .برگزیده. شرح
عنوان و نام پدیدآور	: التوحید الالهی فی نهج‌البلاغه/ تالیف ماجد الکاظمی.
مشخصات نشر	: تهران: چتر دانش، ۱۴۰۲.
مشخصات ظاهری	: ۲۵۲ ص.؛ ۱۴/۵×۲۱/۵ س‌م.
شابک	: ۹۷۸-۶۰۰-۴۱۰-۵۹۶-۵
وضعیت فهرست نویسی	: فیپا
یادداشت	: زبان: عربی.
یادداشت	:کتاب حاضر شرح بخشی از کتاب «نهج‌البلاغه» تالیف علی‌بن‌ابیطالب (ع) است.
یادداشت	: کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع	: علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- دیدگاه درباره توحید
موضوع	: Ali ibn Abi-talib, Imam I, 600-661 -- Views on Tawhid
موضوع	: علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- توحید
موضوع	: Ali ibn Abi-talib, Imam I. Nahjol - Balaghah -- Tawhid*
موضوع	: علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه -- نقد و تفسیر
موضوع	: Ali ibn Abi-talib, Imam I. Nahjol - Balaghah -- Criticism and interpretation
موضوع	: توحید* Tawhid (Unity of God)
شناسه افزوده	: علی‌بن ابی‌طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج‌البلاغه. برگزیده. شرح
شناسه افزوده	: Ali ibn abi-Talib, Imam I, 600-661. Nahjol - Balaghah. Selections. Commentaries
رده بندی کنگره	: BP۳۸/۰۹
رده بندی دیویی	: ۲۹۷/۹۵۱۵
شماره کتابشناسی ملی	: ۹۲۲۳۲۱۸
اطلاعات رکورد کتابشناسی	: فیپا

عنوان الکتاب	: التوحید الالهي في نهج البلاغة
الناشر	: چتر دانش
تحت إشراف	: آیة الله الشیخ ماجد الکاظمي
سنة الطبع	: اول - ۱٤۰۲
العدد	: ۱۰۰۰
شابک	: ۹۷۸-۶۰۰-٤۱۰-۵۹٦-۵
سعر	: ۱۵۰۰۰۰ تومان

فروشگاه مرکزی: تهران، میدان انقلاب، خ‌منیری‌جاوید (اردیبهشت‌شمالی)، پلاک ۸۸

تلفن مرکز پخش: ۶۶۴۹۲۳۲۷ - تلفن فروشگاه کتاب: ۶۶۴۰۲۳۵۳

پست الکترونیک: nashr.chatr@gmail.com

کلیه حقوق برای مؤلف و ناشر محفوظ است.

كلمة الناشر

تسعى شعوب العالم إلى احياء تراثها العلمي والثقافي والديني؛ لما لذلك من أهمية على صعيدين: الأول: يتمثل بإبراز اعتزاز الشعوب بتراثهم العلمي والثقافي والديني ما يعكس فخر الأشخاص و اعتزازهم بالأرض التي انتجت هذا التراث، و الثاني: يتمثل في كون إبراز التراث سيساهم بشكل كبير في تطوّر البلاد من خلال ما سوف يوضحه كمنهج حضاري يقتدى به، ولعل من بين اهم الموروثات القيمة الكتب التي تركها المفكرون المسلمون.

والتي عززت العلوم الإسلامية ولعل من أبرز من اشتغلوا على هكذا تراث هم المفكرون الشيعة الذين انتموا الى مدرسة أهل البيت واتخذوا خطوات مهمة في تطوير العلوم الإسلامية وتمثل المؤلفات التي تركوها دليل واضح على ذلك.

و على الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها أصحاب الاختصاص لإحياء هذا التراث الثمين بقي العديد من هذه الكتب منسية و غير مستخدمة في زوايا المكتبات الخاصة والعامة و لا تبذل الجهود الكفيلة بأحيائها ولكن من أبرز المشاكل التي ابتلت بها هذه الكتب طريقة الطباعة القديمة التي شابتها الكثير من الأخطاء وكذلك لم تحقق أو تصحح يضاف الى ذلك أن كثير من الباحثين هجروا هذه الطريقة البدائية في الطباعة لكثرة الأخطاء التي تعتريها.

أن إحياء هذه الآثار الثمينة له العديد من الفوائد و البركات منها:

١- نشر علوم اهل البيت وجعلها معروفة على الصعيد العالمي

٢- تسهيل الوصول إلى التراث من قبل الباحثين لما لذلك من أثر في حل العديد من القضايا

٣- تكريم العلماء العظام الذين ساهموا في وضع هذا التراث وحفظ تراثهم من الضياع

٤- حفظ الأعمال التراثية من الكوارث والاوبئة التي قد تحدث عبر التاريخ أن دار «چتردانش» هى إحدى المطبعات التي تولي اهتماماً كبيراً بنشر وتوزيع كتب العلوم الإسلامية وتحاول نشر هذه العلوم وفقا لمعايير النشر واهتمامها هذا الا يقتصر على الكتب الفقهية، بل يمتد إلى مجالات أخرى أيضاً بما في ذلك أصول الفقه والحديث وعلم الرجال وعلوم القرآن واللغة العربية والآداب وما الى ذلك.

فرزاد دانشور

مدير مسئول انتشارات چتر دانش

الفهرس

المقدمة ٩
التوحيد الالهي من زاوية الايات والروايات ١٠
قطعية رؤية الاسلام عن التوحيد الالهي ١٠
تواتر خطب ورسائل امير المؤمنين وكلماته حول التوحيد الالهي ١١
المذاهب الفلسفية حول الذات الالهية ١١
التوحيد الالهي في نهج البلاغة والرد على الفلاسفة ١٦
تنبيه ٢٠
لوازم القول بالعينية ٢٢
شرح خطب نهج البلاغة ٢٢
الخطبة الاولى ٢٣
الرد على الاشاعرة ٣٢
خطبة (٤٩) ٣٥
استحالة رؤية الله تعالى ٣٦
استحالة معرفة كنه الذات الالهية المقدسة ٣٨
مناظرة ابن أبي العوجاء مع الصادق عليه السلام ٣٨
في كون المراد به مجرد الاستيلاء والسّلطة ٤١
خطبة (٦٣) ٤٢
خمسة عشر وصفا لا يوصف بها احد غيره تعالى ٤٣
معنى الاولية والاخرية ٤٣
معنى واحديته تعالى ٤٤
خطبة (٨١) ٤٩
خطبة (٨٣) ٥٣
خطبة (٨٨) ٥٥
خطبة (٨٩) ٦٢
مكذوبية ما رواه العامة من رؤيتة تعالى ٦٧
حول تفسير قوله تعالى وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْم ٧٤

الإضافة الابداعية ٨٢
بطلان مقولة الامكان الفقري ٨٣
انكار الفلاسفة للقدرة الالهية ٨٤
في كون فاعليته تعالى بالابداع والارادة والاختيار ٨٥
الخطبة ٩٢ ..... ١١١
خطبة ٩٤ ..... ١١١
خطبة (٩٩) ١١١
خطبة (١٠٦) ١١٣
خطبة (١٠٧) ١١٦
خطبة (١١٠) ١٢٢
ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها ملك الموت ١٢٢
خطبة (١٣١) ١٢٤
خطبة (١٥٠) ١٢٧
خطبة (١٥٣) ١٣٢
لماذا لا يدرك العقل ذاته تعالى ١٣٣
الاستدلال على كونه تعالى مباينا لغيره ١٣٤
خطبة (١٥٨) ١٣٥
تجرأ الغزالي على الله تعالى فيشبهه بالسبع ١٣٦
خطبة (١٦١) ١٣٩
الرد على الثنوية ١٤٦
خطبة (١٦٥) ١٤٧
خطبة (١٧٠) ١٥١
خطبة (١٧٦) ١٥٢
خطبة (١٧٧) ١٥٤
شرح الخطبة برواية الرضي ١٥٥
ما المراد من الرؤية ١٥٦

خطبة (١٨٠) ١٥٩
خطبة (١٨١) ١٧١
خطبة (١٨٣) ١٧٦
الاستدلال على حدوث العالم ١٧٧
بطلان الحادث الذاتي ١٧٧
دعوى الطباطبائي ١٧٨
من ان وعد الله لا حقيقة له ١٧٨
انكار المعاد بلغة حكمة الاجتماع ١٧٨
الجواب على دعوى الطباطبائي ١٧٩
خطبة (١٨٤) ١٨٠
الدليل على ازليته تعالى وحده لا شريك له ١٩٨
بطلان مذاهب الحنابلة، والكراميّة، والأشاعرة. ٢٠١
بطلان مقال الجبائي وابنه أبي هاشم ٢٠٢
من جملة مقدمات القيامة فناء العالم باسره ٢٠٧
خطبة (١٨٩) ٢١٢
خطبة (١٩٥) ٢١٦
من خطبة (١٩٥) ٢١٧
خطبة (١٩٦) ٢٢١
خطبة (١٩٧) ٢٢٣
خطبة (٢١٢) ٢٢٥
من الكتاب (٣١) ٢٢٦
الاستدلال بالبرهان العقلي ٢٢٦
حكمة (٧) ٢٢٩
حكمة (١٣) ٢٣٢
حكمة (٨٤) ٢٣٢
حكمة (١٣٩) ٢٣٥

حكمة (١٤٤) ٢٣٥
حكمة (٢٥٠) ٢٣٧
حكمة (٣٥١) ٢٣٧
حكمة (٣٠٢) ٢٣٨
حكمة (٢٧٣) ٢٣٩
حكمة (٨٤) ٢٤٢
حكمة (٤٥٩) ٢٤٣
حكمة (٤٧٠) ٢٤٤
ومن خطبه عليه السلام في التوحيد مما لم ينقله الرضي ٢٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدلله الواحد الاحد الفرد الصمد واشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله

وان الائمة من بعده ائمةً وسادةً وقادةً ومنار الهدى من تمسک بهم لحق ومن تخلف عنهم

غرق والصلاة والسلام على محمد وعلى اله الطيبين الابرار

واللعن على اعدائهم اجمعين.

اللهم كن لوليک الحجة ابن الحسن صلواتک عليه وعلى ابائه وليّاً وحافظاً وقائداً وناصراً

ودليلاً وعيّناً حتى تسكنه ارضک طوعاً وتمتعه فيها طويلاً.

اللهم انا نرغب اليک في دولة كريمة تعز بها الاسلام واهله وتذل بها النفاق واهله

وتجعلنا فيها من الدعاة الى طاعتک والقادة الى سبيلک

المقدمة

وبعد فمن جملة المسائل المهمة مسألة التوحيد الالهي فانها من اهم المسائل بل هي مسألة خطيرة حيث يرتهن بها مصير الانسان, وقد صرح القرآن الكريم بأهميتها قال تعالى ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[1] وقال تعالى ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[2] وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيماً﴾[3].

وقال جل وعلا ﴿ان الله لا يغفر ان يُشْرك به ويغفرما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثماً عظيما﴾[4] وقال عزَّ وجل ﴿انه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة﴾[5] وغيرها من الايات.

ونريد في هذا المختصر ان نبحث عن التوحيد الالهي الوارد في نهج البلاغة والذي يكون في النقطة المقابلة لاعتقادات الفلاسفه و الاشاعره.

١- لقمان آية١٣
٢- الحج آية٣١
٣- النساء آية٤٨
٤- النساء آية ٤٨
٥- المائده آية٧٢

التوحيد الالهي من زاوية الايات والروايات

لقد انتقدنا الفكر الفلسفي في كتابي الرؤية الفلسفية وأصول المعرفة وكان محور الاستدلال هناک هونقد الفكر الفلسفي بواسطة الدليل العقلي, وأجد من اللازم طرح نقد الفكر الفلسفي من خلال استدلالات وكلمات ائمة الدين وقادته وهم النبي صلى الله عليه وآله والابرار عليهم السلام.

وها انا اقدم جانبا من ذلک وهوما ورد في نهج البلاغة حول التوحيد الالهي من خطب ورسائل وكلمات امير المؤمنين عليه السلام والتي قد جاءت تارةً مكتفية بالارشاد الى بيان تلك المعارف واخرى بالاستدلال العقلي حول تلك المعارف هذا ولا يخفى أنه يصح الاستدلال بالآيات والروايات من زاويتين:

الاولى: بما تضمنته تلك الايات والروايات من استدلال عقلي.

الثانية: باعتبار قيام الدليل والبرهان العقلي على صحة وصدق الرسالة الاسلامية العظيمة فان ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من معاجز متعددة والتي قسم منها ماثل وباقٍ الى يومنا هذا كمعجزة القرآن الكريم كما يثبت لنا صدق الرسول صلى الله عليه وآله وانه من عند الله جل وعلا كذلك يثبت لنا واقعية كل ما جاء به من معارف حول الكون والوجود والحياة.

ولا علاقة للاستدلال بالايات والروايات في التوحيد الالهي بالفكر الاخباري الباطل فان المذهب الاخباري مذهب متأخر كما وانه في فروع الدين ولا علاقة له باصولها. مضافا لما تقدم من ان الاخبار والروايات العقائدية كثيرة جداً لا اختلاف فيها ولاتناقض في معانيها.

قطعية رؤية الاسلام عن التوحيد الالهي

لا يخفى ان الرؤية التي جاء به النبي صلى الله عليه وآله حول التوحيد الالهي ثابتة وقطعية ومتواترة بل وانها من ضروريات الدين والايات فيها صريحة الدلالة بلا اي غموض فيها، وروايات اهل البيت عليهم السلام فيها مضافا الى تواترها وصحة كثير من اسانيدها قطعية الدلالة ولا اختلاف ولا تعارض فيها, نعم روايات العامة مشحونة بالاباطيل وقد ردها العلماء و اوضحوا زيفها من زمن الائمة الاطهار عليهم السلام – كابن شاذان الذي كان من اصحاب الامام الرضا عليه السلام كما في كتابه الايضاح – الى يومنا هذا.

تواتر خطب ورسائل امير المؤمنين وكلماته حول التوحيد الالهي

واما خطب نهج البلاغة وما فيه من رسائل وكلام حول التوحيد الالهي فهي متواترة معنىً مضافا الى انها قد روتها مصادر كثيرة من كتب الشيعة والعامة ومضافا الى شهرتها ومضافا الى بلاغتها وفصاحتها ومضافا الى موافقتها للقران الكريم والبراهين العقلية ومضافا الى اشتمالها على المطالب العلمية والعقلية ومضافا الى موافقتها لما ورد من الائمة الاطهار عليهم السلام من روايات كثيرة، مضافا الى انها لا اختلاف ولا تناقض ولا تعارض فيها.

المذاهب الفلسفية حول الذات الالهية

واما المذاهب حول الذات الالهية فيمكن تلخيصها بثلاث نظريات كلها بعيدة عن التوحيد الالهي بل هي ترجع الى وحدة الوجود اوالموجود:

الاولى: نظرية وحدة الموجود وهي نظرية فلاسفة الاشراق القائلين بان الله سبحانه وتعالى يتمظهر بهذه المخلوقات بمعنى ان هذه المخلوقات ظهور للذات الالهية وانها عينه سبحانه وتعالى.

وبعبارة اخرى ان النسبة بين الخالق والمخلوقات هي نسبة العينية والتطور وان وجود المخلوق عبارة عن تطور وجود الحقّ جل وعلا بصور وانواع مختلفة، والمتعين في الخارج يُسمى بالمخلوق لكن لا تفاوت في التعيّن وعدم التعين لأنّ التعين أمر اعتباري و وهمي وإلى هذا المسلك والمشرب ترمي العبارة المعروفة «بسيط الحقيقة كلّ الأشياء وليس بشيء منها».

ويعبر عن هذه النظرية ايضا بنظرية الإتحاد والعينية التي تبناها ابن عربي وملا صدرا وحسن زادة الاملي حيث صرح الاول بها بعبارات مختلفة ومتنوعة، فقد نقل عنه في توضيح المراد، عبارات في هذا الموضوع: «قال شيخهم ابن عربي في الفص اليوسفي من فصوصه: فكلّ ما ندركه فهو وجود الحقّ في أعيان الممكنات» وهذه عبارة أخرى عن الإتحاد والعينية.

وقال في الفص الآدمي: «و لولا سريان الحقّ في الموجودات بالصورة ما كان للعالم وجود».

وقال في الفص الهودي: «و بالأخبار الصحيح انه عين الأشياء والأشياء محدودة وإن اختلفت حدودها فهومحدود بحدّ كلّ محدود فما يُحدُّ شيء الاّ وهو حدّ الحقّ فهو الساري في مسمى المخلوقات والمبدعات».

وقال في الفص اللقماني: فمِن لطفه ولطافته انه في الشيء المسمى كذا المحدود بكذا عين ذلك الشيء.

وقد شرح هذه العبارة بكاملها الشيخ حسن حسن زاده الآملي في كتابه ممّد الهمم في شرح فصوص الحكم حيث يقول بعد قول ابن عربي «وكان موسى أعلم بالأمر من هارون لأنه علم ما عبده اصحاب العجل لعلمه بان اللّه قد قضى الاّ يعبد الاّ ايّاه وما حكم اللّه بشيء الّا وقع فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه فانّ العارف من يرى الحقّ في كلّ شيء بل يراه عين كلّ شيء» انّ غرض الشيخ من امثال هذه المسائل في الفصوص والفتوحات وغيرهما من كتبه ورسائله هوبيان اسرار الولاية والباطن لاولئك الّذين هم من اهل السرّ وإن كان من حيث النبوة والتشريع هوالإقرار بالنهي عن عبادة الأصنام بالنسبة إلى عامة الناس كما كان الأنبياء ينكرون عبادة الأصنام[١].

وقال ابن عربي في الفص الهاروني: «انّ العارف من يرى الحقّ في كلّ شيء بل يراه عين كلّ شيء»[٢].

«وفي فص اللقماني يقول: وامّا حكمة وصيّته في نهيه إيّاه الاّ «تشرك باللّه انّ الشرك لظلم عظيم» والمظلوم المقام حيث نعته بالانقسام وهوعين واحدة فانه لا يشرك معه الاّ عينه وهذا غاية الجهل»[٣].

وفي فص عيسى يقول: «ان كنت قلته فقد علمتُهُ» لأنّك انت القائل في صورتي ومن قال أمرا فقد علم ما قال وانت اللسان الذي اتكلم به أي أنت القايل في صورتي وأنت اللسان الّذي أتكلم به بحكم انك متجلٍ في هويتي وعيني»[٤].

١- ممّد الهمم في شرح فصوص الحكم ص ٥١٤

٢- توضيح المراد، الفصل الثاني من المقصد الثالث ص ٤٩٤.

٣- فصوص الحكم مع شرح ابي العلاء العفيفي ص ١٩٠.

٤- فصوص الحكم مع شرح القيصري ص ٣٤٠.

وفي فص ادريس يقول: فهو الأوّل والآخر والظاهر والباطن فهوعين ما ظهر وهوعين ما بطن في حال ظهوره»[١].

ويقول القيصري في مقدمة شرح الفصوص: «وقوام الأشياء به (الوجود) لأنّ الوجود لولم يكن لم يكن شيء لا في الخارج ولا في العقل فهومقومها بل هوعينها اذ هوالّذي يتجلّى في مراتبه ويظهر بصورها»[٢].

ويقول ايضا في موضع آخر: «وهو نور محض إذ به يدرك الأشياء كلها ولأنّه ظاهر بذاته ومظهر لغيره ومنور سماوات الغيوب والأرواح... ونبّه ايضا انه عين الأشياء بقوله: «هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم»[٣].

وكتب ابوالعلاء العفيفي في مقدمة كتاب فصوص الحكم بعد ذكر مقدمات: «الحق في نظر ابن عربي هوروح الوجود وهوصورته الظاهرة وكلّ قول يشعر بالأثنينية يتنافى مع مذهبه»[٤].

وكتب ابوالعلاء العفيفي ايضا: «قال ابن عربي فسبحان من اظهر الأشياء وهو عينها»[٥].

وقالوا: انّ اللّه سبحانه وتعالى في مقام غيب الغيوب لا اسم ولا رسم له ويسمى هذا المقام بمقام الأحدية وهوتعالى في هذا المقام ليس بمتحد مع أيّ شيء ولكن في مقام الواحدية الّذي هومقام تجلّي الأسماء والصفات فهومتحد مع المخلوقات.

وقد بحث ملا صدرا ايضا في كتابه الأسفار بتفصيل حول هذا الموضوع وصرح: بأنّ العالم خيال ووهمٌ لا غير والّذي يتراءى في النظر كالسماء والأرض والحيوان والشجر و... انّما هووجود الحقّ تعالى وتجلياته وتطوراته لا غير.

يقول: «وبرهان هذا الأصل من جملة ما آتانيه ربي من الحكمة بحسب العناية الأزلية وجعله قسطي من العلم بفيض فضله وجوده فحاولت به إكمال

١- فصوص الحكم مع شرح ابي العلاء العفيفي ص ٧٧.
٢- فصوص الحكم بشرح القيصري ص ٥ .
٣- فصوص الحكم بشرح القيصري ص ٧.
٤- فصوص الحكم بشرح ابي العلاء العفيفي ص ٢٨ .
٥- فصوص الحكم بشرح العفيفي ص ٢ ٥ .

الفلسفة وتتميم الحكمة وحيث انّ هذا الأصل دقيق غامضٌ صعب المسلك عسير النيل وتحقيق بالغ رفيع السمك بعيد الغور ذهلت عنه جمهور الحكماء وزلت بالذهول عنه اقدام كثير من المحصلين فضلاً عن الاتباع والمقلدين لهم والسائرين معهم، فكما وفقني الله تعالى بفضله ورحمته الإطلاع على الهلاك السرمدي والبطلان الأزلي للماهيات الإمكانية والأعيان الجوازية فكذلك هداني ربّي بالبرهان النير العرشي إلى صراط مستقيم من كون الموجود والوجود منحصرا في حقيقة واحدة شخصية لا شريك له في الموجودية الحقيقية ولا ثاني له في العين وليس في دار الوجود غيره ديّار وكلّما يُتراآى في عالم الوجود انه غير الواجب المعبود فإنّما هومن ظهورات ذاته، وتجليات صفاته الّتي هي في الحقيقة عين ذاته كما صرح به لسان بعض العرفاء بقوله: فالمقول عليه سوى الله أوغيره أوالمسمى بالعالم هوبالنسبة إليه تعالى كالظل للشخص فهوظل الله فهوعين نسبة الوجود إلى العالم فمحل ظهور هذا الظل الإلهي المسمى بالعالم انّما هوأعيان الممكنات عليها امتد هذا الظل فيدرك من هذا الظل بحسب ما امتد عليه من وجود هذه الذات ولكن بنور ذاته وقع الإدراك لأنّ أعيان الممكنات ليست نيرة لأنّها معدومة وإن اتصفت بالثبوت بالعرض لا بالذّات إذ الوجود نور وما سواه مظلم الذات فما يعلم من العالم الاّ قدر ما يعلم من الظل ويجهل من الحق على قدر ما يجهل من الشخص الّذي عنه ذلك الظل، فمن حيث هوظل له يعلم، ومن حيث ما يجهل ما في ذات ذالك الظل من صورة شخص من امتدّ عنه يجهل من الحقّ ﴿اَلَمْ تَرَ الى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنَا﴾[1] أيّ يكون بحيث لا ينشاء منه فيض جوده وظل وجوده ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً و هو ذاته باعتبار كونه نورا لنفسه في نفسه ويشهد به العقل والحس للظلال الممدودة الوجودية فانّ الظلال لا يكون لها عين مع عدم النور»[2].

وإستدل ملا صدرا لإثبات اتحاد الذات الإلهيّة المقدسة مع المخلوقات وانهما عين الآخر بهذا الشكل حيث قال: «لولم يكن الحقّ تعالى عين الأشياء لما كان

١- الفرقان/ ٤٥ .

٢- الأسفار، المرحلة السادسة، فصل ٢٥، ٢٩٢/٢ و٢٩٣.

له حضور في الأشياء ولأصبح محدودا وبعد بطلان هذين الأمرين يلزم علينا ان نقول «انّ اللّه عين الأشياء»[١].

قلت: وسيوافيك الجواب على هذه النظرية فانتظر.

الثانية: نظرية فلاسفة المشّاء كابن سينا الذي يصور لنا التوحيد من خلال تفسيره للآية المباركة: ﴿اللهُ نورُ السَماواتِ والأرضِ مَثَلُ نورِهِ كَمِشكَاةٍ فيها مِصبَاحٌ المِصباحُ في زُجَاجَةٍ الزُجَاجَةُ كَأنَّها كَوكَبٌ دُرِّي يوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيتونَةٍ لا شَرقيةٍ ولا غَربيةٍ يكَادُ زَيتُها يضيءُ ولو لَم تَمسَسهُ نَارٌ نورٌ على نور﴾.

فيفَسِّر النور: بالخير؛ ليكون الله هوالخير. كما جعل افلاطون الخير؛ أعلى المُثل.

ويفسِّر السماوات والأرض: بالكل؛ وهوتعبير الفلاسفة عن العالم.

ويفسِّر المشكاة: بالعقل الهيولائي وهوأحد أقسام العقل عند أرسطو.

ويفسِّر المصباح: بالعقل المستفاد؛ وهوالثاني من أقسام العقل عند أرسطو.

ويفسِّر الزجاجة: بالواسطة؛ وهوالعقل الفعّال الواسطة بين العقلين.

ويفسِّر الشجرة المباركة الزيتونة: بالقوّة الفكرية التي هي مادّة الأفعال العقلية.

ويفسِّر النار: بالعقل الكلِّي المدبِّر للعالم المُشاهَد؛ وهي النفس الكلِّية عند إفلاطون[٢].

وخلاصة كلامه أنّه ليست النسبة بين الخالق والمخلوق نسبة العينية فليس احدهما عين الآخر بل هنالك مراتب في الوجود تبدأ من مرتبة غيب الغيوب واللامتناهية الى باقي المراتب ويجمع كلّ هذه المراتب سنخية واحدة.

الثالثة: وهنالک عقيدة اخرى تخالف الفلسفة بالعنوان وتماثلها بالجوهر وهي: القول بتباين الممكنات مع الله تعالى بناءاً على أن تكون الرابطة بينهما هي رابطة الموج والبحر ايضا على ان يكون الرب كحقيقة الماء مثلا وما سواه هوصورة الامواج فبينهما تباين بالحقيقة حيث إن حقيقة الاول هوالوجود وتحققه بنفسه والثاني وهي صور الامواج حقيقته هوالكون والتحقق بوجود الغير لا بايجاده وبعبارة اخرى ان التباين بين الخالق والمخلوق يكون من حيث التعين واللاتعين

١- المشاعر، المشعر الثاني ص ٤٦.

٢- الرسالة السادسة من رسائله في الحكمة والطبيعيات:٢٩٣.

في عين السنخية بينهما من حيث الكمالات المسماة بالنورية وهذا ايضا تعبير ثان عن قول الفلاسفة الاشراقيين.

وترجع هذه النظرية الى النظرية الاولى كما لا يخفى.

التوحيد الالهي في نهج البلاغة والرد على الفلاسفة

واما رؤية نهج البلاغة حول الذات الالهية والتوحيد الالهي هو أن الاشياء بكل وجودها وكيانها وكمالاتها وصورها وتعيناتها مخلوقة لله تعالى ولا يلزم من جعل وجود الاشياء اي تحديد لوجود الله تعالى لعدم السنخية بينه تعالى وبين المخلوقات لان الاشياء حقائق متجزية والله تعالى غير متجزء ولا متوهم بالقلة والكثرة فلا يتصور اي تزاحم بين وجودهما اصلاً وبعبارة اخرى النسبة بينهما نسبة الخالق والمخلوق والموجِد والموجَد والجاعل والمجعول والمنشىء والمنشاء ولا توجد أي سنخية بينهما بل بينهما كمال البينونة كما سيتضح ذلك من خلال خطب نهج البلاغة.

اقول: ولا يخفى أنّ إستدلال الفلاسفة يبتني على القول بالسنخية بين الخالق والخلق لأنّ الشيئين إذا كانا من سنخ واحد يحد احدهما الآخر، والمثال الصحيح لتوضيح ذلك من بعض الجهات هومثال العلم والمعلومات الخارجية فانّ المعلومات الّتي هي موجودة في الواقع الخارجي لا توجب المحدودية لعلمنا ولا تكون سببا لتحديده والسرّ في ذلك إنّهما من سنخين وطبيعتين لا من سنخ واحد.

كما وان القول بالتنزل والترشح مردود وذلك لانه يستلزم التشبيه والتسانخ مضافا إلى ما أبطلناه سابقا من اتحاده مع المخلوق تعالى اللّه عن ذلك.

واما القول بانّ مقام الأحدية أوجد مقام الواحدية فيلزم عليه أن يكون مقام الواحدية (الّذي هو مقام ظهور الأسماء والصفات حسب مدعاهم) مخلوقا ومعلولا في وجوده للّه جل وعلا وحينئذٍ فلا اتحاد في البين.

والذي جاءت به خطب نهج البلاغة ونطق به امير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن ابي طالب عليه السلام ان الاشياء بكل وجودها وكيانها وكمالاتها وصورها وتعيناتها مخلوقة لله تعالى بعد ما كانت مسبوقة بالعدم الحقيقي وانه لا توجد أي

سنخية بينهما بل بينهما كمال البينونة.

وهذه الرؤية يعني بطلان السنخية التي بيّنها لنا امير المؤمنين عليه السلام لم تطرح في كلامه عليه السلام بلا دليل بل طرحت مقرونة بالدليل العقلي .

واذا ما راجعنا كلمات امير المؤمنين عليه السلام نجد الأمير عليه السلام قد وصف الذات الإلهية المقدسة بنفس التعابير الواردة في القرآن الكريم فقال الله تبارك وتعالى:

﴿اَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ﴾[١]

وقال جل وعلا ﴿قُلْ سِيْرُوا فِي الارضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَ يُنْشِئُ النْشْأَةَ الآخِرَةَ انَّ اللهَ عَلى كُلِّ شيءٍ قَدِيْرٌ﴾[٢] وقال عزّ وجل ﴿بَدِيْعُ السَّمواتِ وَالارض﴾[٣] وقال سبحانه ﴿وَ جَعَلَ الظُلُماتَ وَ النُور﴾[٤] وقال تبارك وتعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الارضِ جَمِيْعًا﴾[٥].

وقد ذكر اللغويون ان كلمات بدع وبدأ وبديع وانشأ وخلق وفطر كلها بمعنى الإيجاد بعد العدم وقالوا: بَدَأَ وأبْدَأ الله الخلقَ: برأهم، خلقهم من العدم[٦] البِدْع: المحدَث الجديد، البدعة: ما احدث على غير مثال سابق، البديع: من الأسماء الحسنى يقال: الله بديع السموات والارض. أي موجِدها، الابداع[٧].

هذا وتكفي الخطبة الاولى من نهج البلاغة في اثبات المطلوب فقال عليه افضل الصلاة والسلام «الْحَمْدُ للهِ الَّذي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائلُونَ- وَ لَا يُحْصي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ- وَ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ- الَّذي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَم- وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَن- الَّذي لَيْسَ لِصِفَتِه حَدٌّ مَحْدُودٌ- وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَ لَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ- وَ لَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ- فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ- وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ- وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِه»[٨]

١- العنكبوت/ ١٩.
٢- العنكبوت/ ٢٠.
٣- البقرة/ ١١٧.
٤- الانعام/ ١.
٥- البقرة/ ٢٩.
٦- المنجد، مادة بدأ، ص ٢٨ .
٧- المنجد في اللغة، مادة بدع، ص ٢٩.
٨- نهج البلاغة مع تعاليق صبحي الصالح ص٥٢ .

تؤكد هذا الخطبة الشريفة على ان الخلائق مخلوقة لله تعالى بقدرته وانه فطرها بعد ما كانت معدومة, وأنّ النسبة بين اللهّ والموجودات هي نسبة الابداع لا الصدور ولا الفيض والترشح.

وقال عليه السلام ايضا «لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على نِدٍّ مثاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلائق مربوبون وعباد داخرون»[١].

وقال عليه السلام ايضا «الحمد للهّ المعروف من غير رُؤية والخالق من غير روّية الّذي لم يزل قائما دائما»[٢].

وقال عليه السلام « وانما صدرت الأمور عن مشيته، المنشىء أصناف الأشياء بلا روّية فكرٍ آلَ إليها»[٣].

والحاصل انه مع ملاحظة هذه الآيات والروايات يتضح لنا انّ التعبير الّذي جاء به الوحي هو انّ اللهّ جل وعلا المُبدِء والمُنشِىء والبديع والجاعل والخالق.

وكذلك أيضا مع ملاحظة قوله عليه السلام: «الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازليته وباشتباههم على أن لا شبه له... لافتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب»[٤] وهوكما ترى مقرون بالبرهان عليها.

والاحاديث التي تؤكد على البينونة بين الذات الإلهية المقدسة والمخلوقات كثيرة مثل:

قوله عليه السلام: «ومباينته إياهم مفارقته إنيتهم»[٥].

وقوله عليه السلام: «كنهه تفريق بينه وبين خلقه»[٦].

وقوله عليه السلام: «تنزه عن مجانسة مخلوقاته»[٧]

١- نهج البلاغة مع تعليق صبحي الصالح ص ١٠٠ خطبة ٦٤.
٢- المصدر السابق خطبة ٨٩ ص ٢٢٤ و١٤١.
٣- نهج البلاغة مع تعليق صبحي الصالح خطبة ٩٠ ص١٤٨ .
٤- نهج البلاغة خطبه ١٥٢
٥- توحيد الصدوق، باب التوحيد ونفي التشبيه، ٣٦/٢ والبحار ٢٢٨/٤.
٦- المصدر السابق.
٧- بحار الانوار ٣٣٩/٨٧، ح ١٩.

وقوله عليه السلام: «بان من الأشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الأشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه ,من وصفه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه ومن عدّه فقد ابطل أزله»[١].

وقوله عليه السلام: «وتوحيده تميزه من خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة إنه رب خالق غير مربوب مخلوق، كل ما تصوّر فهوبخلافه»[٢].

وقوله عليه السلام: «لا يخطر ببال اولي الروّيات خاطرة من تقدير جلال عزته لبعده من ان يكون في قوي المحدودين لانه خلاف خلقه فلا شبه له من المخلوقين وإنما يشبّه الشيئ بعديله فاما ما لا عديل له فكيف يشبّه بغير مثاله»[٣].

وقوله عليه السلام: «فمعاني الخلق عنه منفية... المعروف بغير كيفية... ولا يقاس بالناس... ولا تحيط به الافكار ولا تقدره العقول ولا تقع عليه الاوهام فكل ما قدره عقل اوعرف له مثل فهومحدود»[٤].

وقوله عليه السلام: «مباين لجميع ما احدث في الصفات وممتنع عن الادراك بما ابتدع من تصريف الذوات»[٥].

وقوله عليه السلام: «تعالى الملك الجبار أن يوصف بمقدار»[٦].

وقوله عليه السلام: «... عظيم العظمة لا يوصف بالعظم كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر»[٧].

وقوله عليه السلام: «ليس بذي كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيماً ولا بذي عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيداً بل كبر شأناً وعظم سلطاناً»[٨].

وقوله عليه السلام ايضا: «الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق ما كان، قدرةً بان بها من الاشياء وبانت الاشياء منه»[٩] فاللهَّ جلّ وعلا لا من شيء كان موجودا ولا من شيء خلق الخلائق فهو ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد﴾ وذلك لانه مباين للاشياء والاشياء مباينة له تعالى.

١- نهج البلاغة مع تعاليق صبحي الصالح، خطبة ١٥٢، ص ٢٥٩.
٢- الاحتجاج ٢٩٩/١
٣- التوحيد ٥٢
٤- التوحيد ٧٩
٥- البحار ٢٢٢/٤
٦- البحار ٥٦/١٠
٧- الكافي ١٣٨/١ح٤
٨- نهج البلاغة خطبة ١٨٥
٩- توحيد الصدوق، باب التوحيد ونفى التشبيه، ح ٣ص ٤٢ والاصول من الكافي، كتاب التوحيد، باب جوامع التوحيد، ح

تنبيه

وقد نقل هذا الحديث الشريف ملاصدرا بتحريف بدليل انه لا يوجد في نسخة من نسخ نهج البلاغة وشروحه ففيما نقله «فدرة» بدل «قدرة» وقد شرح ملا صدرا الفدرة بالقطعة وحاول بعباراته اثبات ذلك ولازم كلامه هوالتركيب في الذات الالهية المعلوم البطلان.

ويستمر أميرالمؤمنين عليه السلام في حديثه السابق ويقول: «حدّ الاشياء كلها عند خلقه اياها ابانة لها من شبهه وابانة له من شبهها»[1] فيؤكد عليه السلام في هذا الحديث على التباين بينه تعالى وبين المخلوقات.

وفي موضع آخر يقول عليه السلام: «لانه خلاف خلقه فلا شبه له من المخلوقين»[2] وهنا يصرح عليه السلام بنفي السنخية بينه تعالى وبين المخلوقات ويثبت البينونة.

فهنالک بينونة كاملة بين الخالق والمخلوق ولذا فالتعبير بمثل الفيض، والعينية والتنزل في الوجود والعلية بالمعنى الإصطلاحي لا يصح مطلقا بالنسبة للذات المقدسة الإلهيّة، وكل التعابير الواردة في كلمات امير المؤمنين عليه السلام هي من مثل: الفاطر والمبدع والمبدأ والخالق والبارىء تشهد على ذلک.

مع أنّ مسألة الإثنينية بين الخالق والمخلوق وجدانيّة وبديهيّة وقد اقيمت على إثباتها الأدلة العقلية والنقلية أيضا لكن الفلاسفة والصوفية الذين يتسمون بالعرفاء يصّرون على نفي الإثنينية ويأولون بعض الآيات من القرآن الكريم والروايات لأجل إثبات الإتحاد والعينيّة بين الخالق والمخلوق كما نجد استدلالهم بقوله صلوات الله عليه: مع كُلِّ شيءٍ لا بمُقارنةٍ، وغير كل شيءٍ لا بمزايلة[3].

ووجه استدلالهم بها: انه لا معنى لنفي مقارنة الخالق للمخلوق مع إثبات المعية بينهما إلّا كون غير الله جل وعلا امرا اعتباريا لا وجود له حقيقة.

والجواب واضح، وذلك فان قوله عليه السلام مع كلّ... وقوله عليه السلام غير كلّ... الدالين على المعية والغيرية ظاهران في الغيرية والمعيّة الحقيقية وامّا نفي المقارنة فالمراد

١- توحيد الصدوق،
٢- توحيد الصدوق,
٣- نهج‌البلاغة الخطبة الاولى .

منه نفي المقارنة المكانيّة الّتي هي المتبادرة في الأذهان والّتي من لوازمها الإحتياج والمحدودية كما وان المراد من نفي المزايلة هوالتباين والإفتراق بين الشيئين اللذين من سنخ واحد.

ولا يخفى انّ القول بالإتحاد والعينية يبتني على القول بإصالة الوجود اوّلاً والقول بوحدة الوجود ثانيا والقول بالوحدة المطلقة في الوجود ثالثا وحيث انّ هذه المسائل الثلاثة محل بحث ومناقشة وذلك لأنها ليست من البديهيات ولا تعتمد البرهان ولذا نجدهم في نهاية الأمر يستدلون لها بالكشف والمكاشفة وطورا وراء طور العقل.

وكل من يراجع خطب أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، يجد التأكيد والتصريح،؛ بما يخالف العقائد والآراء الفلسفية اليونانية كما يشهد لذلك صدر الخطبة المتقدمة: « وكمال الإخلاص له، نفي الصفات عنه؛ لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه.. مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة».

ففي هذه الخطبة الشريفة تصريح بأن الله تعالى شأنه؛ لا يوصف، ولا تُعرف ذاته وأنه غير المخلوقات، لكنّه لا بمعنى أن يخلومنه مكان، بل هومحيط بكل مكان. وشرح الإمام عليه السلام ما يترتب على توصيف الذات من المحددية والتجزئة، فالله تعالى قادر على كل شيء، وقدرته عين ذاته؛ لا أن مقدوره عين ذاته،كما خرجت مثل هذه الشطحات المُزلّة عن الصراط المستقيم من الفلاسفة فالمخلوقات متعلقات القدرة لا عينها.

ولا يخفى إن خطب وكلمات واحتجاجات النبي والأئمة عليهم جميعاً آلاف التحية والسلام مع عمقها واشتمالها على مختلف أساليب الإستدلال؛ لم نجد فيها ولا رواية واحدة تدلل على الآراء الفلسفية؛ من السنخية، والواحد لا يصدر منه إلا واحد، ووحدة الوجود، وأنه تعالى جسم إلهي وغيرها.

ولهذا السبب اضطر الفلاسفة لدعم الآراء الفلسفية لأن يؤلوا الآيات والروايات حتى يرتفع التناقض والتضارب الموجود بين الآيات والروايات وبين مايقرروه من آراء فلسفية.

لوازم القول بالعينية

هذا ويلزم من القول بالعينية ثلاثة لوازم باطلة بالبداهة وهي كالتالي:

١- اننا لو قلنا بالإتحاد والعينية فامّا ان نلتزم بالتناقض وامّا أن نلتزم بعدم الوجود للممكن وذلك لانه لوفرضنا الوجود للممكن فاللازم منه ان حقيقة الوجود واحدة للواجب والممكن وبعبارة أخرى واجبة وغير واجبة وذلك لأنّ حقيقة الوجود واحدة حسب الفرض ولازمها وجوب الوجود وعدم وجوبه وهوعين التناقض.

وأمّا ان نلتزم بعدم الوجود للممكن وحينئذ فينحصر الوجود بواجب الوجود فقط والنتيجة ان لا وجود الاّ للّه جل وعلا لا غير وقد قالوا بهذا القول حيث لا مفر لهم عنه, كما جاء في كتاب ممد الهمم في شرح فصوص الحكم حيث يقول «وانك لودققت النظر في دار الوجود فلا تجد فيه الّا الوجوب والبحث عن الإمكان للتلهي»[١]، الّا ان إنكار ممكن الوجود مخالف للضرورة والبداهة عقلاً ونقلاً.

٢- ان لازم القول بالإتحاد والعينية هوحصول التغير والتبدل في الذات الإلهية المقدسة وهوبديهي البطلان عقلاً ونقلاً.

٣- ولازمه ايضا عدم العقاب والثواب ولغوية الشرايع الإلهية وارسال المرسلين وانّ التكليف اساسا لغو و ملعبة.

شرح خطب نهج البلاغة

وبعد ما اثبتنا بشكل مختصر ما جاء في نهج البلاغة من رؤية حول التوحيد الالهي نبدأ بشرح خطب وما جاء في نهج البلاغة حول التوحيد الالهي وقد اعتمدت في شرحها على ما افاده العلامة التستري رحمه الله في كتابه القيم بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة[٢] لكن بتصرف منا مما يناسب هذا الكتاب.

١- ممد الهمم في شرح فصوص الحكم تأليف حسن حسن زاده الآملي ص ١٠٧ .

٢- بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة ج١ ص١٤٤ وما بعدها .

الخطبة الاولى

قال عليه السلام في اول خطبة من نهج البلاغة:

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ- وَ لَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ- وَ لَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ- الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ- وَ لَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ- الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ- وَ لَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ وَ لَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ- وَ لَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ- فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ- وَ نَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ- وَ وَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ»[١].

اقول: نقلت هذه الخطبة – مضافا الى نقل السيد الرضي – في مصادر متعددة من الخاصة منهم الطبرسي[٢] والصدوق في كتابه التوحيد[٣] والطوسي في اماليه[٤] وكذلك العامة فنقلها ابن طلحة الشافعي في مطالب السؤول[٥] والفخر الرازي[٦].

الحمد لله

روى المعاني عن العسكري عليه السلام: أنّ اللّه هوالّذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد[٧]، ونقل ابن أبي الحديد عن الراوندي: أنّ (اللّه) أخصّ من (الإله)[٨]، ونقل عنه في موضع آخر: أنّ الإله مصدر بمعنى المألوه[٩]، وردّه بأنّه لا فرق بينهما في اللغة، بل في الاصطلاح، وأنّ الإله اسم جنس- كالرجل- لكلّ معبود بحقّ أوباطل، وغلب على الحقّ، وأنّ (مألوه) مصدر لا مفعول، وأنّه لم يسمع مألوه في اللغة، لأنّ أله الرّجل- إذا دهش وتحيّر- لازم لا يبنى منه مفعول[١٠].

قلت: لماذا لا يراجع اللّغة، وإلّا ففي (الصحاح) أله بالفتح، إلاهة، أي: عبد

١- نهج البلاغة مع تعاليق صبحي الصالح ص٥٢ .
٢- الاحتجاج ج١ ص١٥٠.
٣- التوحيد ص٢٤ .
٤- الامالي ج١ ص٢٢ .
٥- مطالب السؤول: ص ٢٧.
٦- تفسير الفخر الرازي ج٢ ص١٦٤.
٧- معاني الأخبار للصدوق ٤: ٢.
٨- شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠.
٩- شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١.
١٠- رد الأول في الصفحة(٢٠)، والثاني في ص (٢١).

عبادة، وإله فعال بمعنى مفعول، أي: معبود، كقولنا: إمام على فعال، بمعنى مفعول، لأنّه مؤتمّ به[١].

وما قاله من «أنّ أله الرجل بمعنى: تحيّر لا يبنى منه مفعول» غلط فاحش، فإنّما (وله الرّجل بمعنى: تحيّر) لا يبنى منه مفعول لا (أله)، ولوكان اعترض عليه بأنّ: (إله ليس بمصدر، بل إلاهة، كما قال الجوهري، وأنّه قال: إله فعال بمعنى مفعول) كان له وجه.

ثم لولم يكن فرق بين (اللّه) و (إله)- كما قال ابن أبي الحديد[٢]- يصير معنى: (لا إله إلّا اللّه) كقولك: لا رجل إلّا رجل، أولا زيد إلّا زيد! وكيف لا يكون بينهما فرق، وقد كان المشركون- وهم من أهل اللّغة- يطلقون (الإله) على الأوثان، ولا يطلقون لفظة (اللّه) إلّا على موجد العالم، قال تعالى: ﴿وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ﴾.[٣] كما أنّما قاله من «أنّ الإله كلّ معبود وغلب على الحقّ» ليس كذلك، قال تعالى: «أَ فَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلهَهُ هَواهُ»[٤] وإنّما غير الحقّ يجب أن ينفى ككلّ باطل، ف (لا إله إلّا اللّه)، وكذلك قوله: «مألوه مصدر» ليس كذلك، فقد عرفت من (الصحاح) أنّه على أصله.

قال ابن أبي الحديد أيضا: قال الراوندي: (الحمد للّه) دالّ على أنّه عليه السلام حمد اللّه تعالى، وأنّه ثابت عليه مدّة حياته، وأمر غيره في فحوى كلامه أن يحمدوه أيضا ثابتين، ولوكان عبّر بلفظ (أحمد اللّه) لم يفهم منه جميع ذلك[٥].

ثمّ ردّه ابن أبي الحديد بأنّه لا فرق بين قولنا: «الحمد للّه»، وقولنا: «أحمد اللّه»[٦].

قلت: لِمَ لَم يراجع كلمات علماء البيان في الفرق بين الجملة الاسمية والجملة الفعليّة؟ فإنّما قال الراوندي ما قالوه من أنّ (أحمد اللّه) بلفظ الفعليّة مجرد إخبار بحمده له تعالى، وأمّا (الحمد للّه) بلفظ الاسمية، وتعريف الحمد بلام الجنسية،

١- صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٢٢٥ مادة(اله).
٢- شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠
٣- الزمر اية: ٣٨.
٤- الجاثية: ٢٣.
٥- شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠ والنقل بالمعنى.
٦- شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٠ والنقل بالمعنى.

فدالّ على الدوام والاستمرار، وأنّه تعالى مستحقّ للحمد من كلّ حامد، فكما حمده هو عليه السلام يجب أن يحمده كلّ مخلوق مثله.

وفي الخبر أنّ الباقر عليه السلام فقد بغلة له، فقال: لئن ردّها الله تعالى لأحمدنّه بمحامد يرضاها، فما لبث أن أتي بها بسرجها ولجامها، فلمّا استوى عليها وضمّ إليه ثيابه رفع رأسه الى السماء، فقال: الحمد لله فلم يزد. ثمّ قال: ما تركت ولا بقيت شيئا، جعلت كلّ أنواع المحامد لله عز وجل، فما من حمد إلّا وهو داخل في ما قلت[١].

«الّذي لا يبلغ مدحته القائلون»

كيف يبلغ القائلون مدحته، والمادح إنّما يبلغ مدح شخص إذا أحاط علما بكمالاته، فالجاهل لا يقدر أن يصف علم العالم، ولا يمكن الإحاطة بكمالاته تعالى لغيره عزّ وجلّ، فينحصر مدحه تعالى كما ينبغي بذاته المقدّسة، كما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[٢]. وكيف يبلغ مدحته القائلون وقد قال عزّ اسمه: ﴿قُلْ لَوْ كانَ الْبَحْرُ مِداداً لِكَلِماتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً﴾[٣].

«ولا يحصي نعماءه العادّون»

إنّما يمكن الإحصاء في ماله حصر، ولا حصر لنعمائه تعالى، وفي الخبر: أنّ أبيّ بن كعب قرأ عند النبيّ صلى الله عليه وآله قوله تعالى: «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً»[٤]، فقال النبي صلى الله عليه وآله لقوم عنده – وفيهم أبوبكر وعبيدة وعمر وعثمان وعبد الرّحمن– قولوا الآن ما أوّل نعمة غرسكم الله بها وأبلاكم بها؟ فخاضوا من المعاش والرّياش والذرّية والأزواج، فلمّا أمسكوا، قال لأمير المؤمنين عليه السلام: يا أبا الحسن قل. فقال عليه السلام: إنّ الله خلقني ولم أكن شيئا مذكورا، وأن أحسن بي فجعلني حيّا لا مواتا، وأن أنشأني، فله الحمد في أحسن صورة وأعدل تركيب،

١- رواه الإربلي في كشف الغمة ٢: ٣٣٠، والطبرسي في مكارم الأخلاق: ٣٠٧.

٢- أخرجه صاحب مصباح الشريعة فيه: ٥٦، والدار قطني في الافراد عنه منتخب كنز العمال ١: ٣٤٨ عن النبي صلى الله عليه وآله، ونقله ابن أبي الحديد في شرحه ١: ١٩، وابن ميثم في شرحه ١: ١١١.

٣- الكهف: ١٠٩.

٤- لقمان: ٢٠.

وأن جعلني متفكّرا واعيا لا أبله ساهيا، وأن جعل لي شواعر أدرك بها ما ابتغيت، وجعل فيّ سراجا منيرا، وأن هداني لدينه ولن يضلّني عن سبيله، وأن جعل لي مردّا في حياة لا انقطاع لها، وأن جعلني ملكا مالكا لا مملوكا، وأن سخّر لي سماءه وأرضه وما فيهما وما بينهما من خلقه، وأن جعلنا ذكرانا قوّاما على حلائلنا لا إناثا. وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول في كلّ كلمة: صدقت. ثم قال: فما بعد هذا؟ فقال علي عليه السلام: «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها»[1]. فتبسّم النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: ليهنئك الحكمة، ليهنئك العلم، يا أبا الحسن! أنت وارث علمي، والمبيّن لأمّتي ما اختلفت فيه من بعدي[2].

«**ولا يؤدّي حقّه المجتهدون**» أي: السّارعون في عبادته، وكيف يمكن لأحد أداء حقّه، وحقوقه غير محصورة على حسب نعمائه.

وعن الزهري: دخلت مع عليّ بن الحسين عليه السلام على عبد الملك، فاستعظم ما رأى من أثر السجود بين عينيه، فقال له: يا أبا محمّد لقد تبيّن عليك الاجتهاد، ولقد سبق لك من الله الحسنى، وأنت بضعة من النبيّ صلى الله عليه وآله

فأجابه عليه السلام في كلام طويل بأنّه مع ذلك لم يؤدّ حقّه تعالى- الى أن قال عليه السلام له-: والله لو تقطّعت أعضائي، وسالت مقلتاي على صدري في قيامي له تعالى، لم أشكر عشر العشير من نعمة واحدة، من جميع نعمه الّتي لا يحصيها العادّون، ويبلغ حدّ نعمة واحدة منها على جميع حمد الحامدين له تعالى[3].

وقال بعضهم: قوله عليه السلام: «الّذي لا يبلغ مدحته القائلون» إقرار بالعجز عن الحمد باللسان، وقوله عليه السلام: «ولا يحصي نعماءه العادّون» اعتراف بالقصور عن الشكر بالجنان، وقوله عليه السلام: «ولا يؤدّي حقّه المجتهدون» اعتراف بالقصور عن العمل بالأركان[4].

«**الّذي لا يدركه بعد الهمم**» أي: لا يصل الى كنهه الهمم العالية الراقية إلى شوامخ الأمور.

١- ابراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨ .

٢- رواه ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٣٥٥، والحسكاني في شواهد التنزيل ١: ٣٢٩ ح ٤٥٥، وابوعلي الطوسي في أماليه ٢: ١٠٥، المجلس(١٧).

٣- رواه ابن طاوس في فتح الأبواب عنه البحار ٤٦: ٥٦ ح ١٠.

٤- القائل هوالمجلسي في شرح الخطبة: بحار الأنوار ٤: ٢٤٨.

«**ولا يناله غوص الفطن**» أي: لا ينتهي إلى هويّته الفطن الغائصة لجج الأفكار.

قال الخوئي: إضافة (بعد الهمم) و(غوص الفطن) ليس من باب إضافة الصفة إلى الموصوف- على ما قيل- لوجوب المطابقة بين الصفة والموصوف[١].

قلت: ما قيل سليم، وما قاله هوعليل، فالمطابقة إنّما في ما إذا بقيت الصفة على وصفها لا بعد تبديلها، فيقال: زيد بعيد الهمم، والأصل ذوهمم بعيدة.

ثمّ مثل قوله عليه السلام هنا: «الّذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن» قوله عليه السلام في الخطبة الثالثة: «فتبارك اللّه الّذي لا يبلغه بعد الهمم ولا يناله حدس الفطن»[٢]، فإنّ الفرق بينهما إنّما في اللّفظ، والمعنى واحد.

وفي (الكافي): سأل أبوهاشم الجعفري الجواد عليه السلام عن قوله تعالى: «لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ»[٣] فقال عليه السلام: يا أبا هاشم! أوهام القلوب أدقّ من أبصار العيون، أنت قد تدرك بوهمك السّند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولا تدركها ببصرك، وأوهام القلوب لا تدركه، فكيف أبصار العيون[٤]؟!

هذا ومن المضحك أنّ جمهور متكلّمي العامّة يدّعون أنّهم يعرفون حقيقة ذاته، وأفرطوا في الوقاحة، فقالوا: إنّه تعالى لا يعلم من ذاته إلّا ما نعلم منها.

«**الّذي ليس لصفته**» أي: لتوصيفه، فيأتي كلامه عليه السلام «وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه»، والمراد ليس لذاته:

«**حدّ محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود**» لكون هذه الأمور من عوارض الجسمانيات، وهوتعالى منزّه عن ذلك.

١- شرح الخوئي ١: ١٠٠.

٢- ما نقلناه (حدس الفطن) إنّما هوفي شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٠. لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٩٤ « حسن الفطن» أيضا. كالمصرية؛ والظاهر انه تصحيف.

٣- الأنعام: ١٠٣.

٤- رواه الكليني في الكافي ١: ٩٩ ح ١١، والصدوق في التوحيد: ١١٣ ح ١٢، ورواه الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٤٤٢ عن أبي هاشم عن الجواد عليه السلام وروى معناه الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٣٦ عن الصادق عليه السلام، والبرقي في المحاسن: ٢٣٩ ح ٢١٥، والكليني في الكافي ١: ٩٨ ح ١٠، والصدوق في التوحيد: ١١٢ ح ١١ عن طريق أبي هاشم، والصدوق في الأمالي: ٣٣٤ ح ٢ المجلس (٦٤)، وصاحب فقه الرضا عنه البحار ٣: ٢٦٢ ح ١٧ عن غير طريقه عن الرضا عليه السلام، والبرقي في المحاسن ٢٣٩ ح ٢١٥ عن أبي هاشم عن الجواد عليه السلام، وابن أبي حاتم وأبوالشيخ واللاكائي عنهم الدر المنثور ٣: ٣٧ عن أبي الحسين القاري موقوفا.

وروى (توحيد الصدوق) خطبة عنه عليه السلام في استنهاضه الناس الى حرب معاوية ثانية وفيها: «الّذي ليس له وقت معدود، ولا أجل ممدود، ولا نعت محدود»[١].

«**فطر**» عن ابن عباس: كنت لا أدري ما «فاطِرِ السَّماواتِ»[٢] حتّى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها[٣].

«**الخلائق**» من الجماد والنبات والوحش والطير والهوامّ والأنعام، غير البشر.

«**بقدرته**» اي أنّ خلقه تعالى للخلائق بنفس قدرته لا بمعونة أدوات وآلات كعمل المخلوقين، فيكون الكلام إشارة الى قوله تعالى: ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٤].

وكما تقدم ان هذه الخطبة الشريفة تؤكد على ان الخلائق مخلوقة لله تعالى بقدرته وانه فطرها بعد ما كانت معدومة, وأنّ النسبة بين اللهّ والموجودات هي نسبة الابداع لا الصدور ولا الفيض ولا الترشح.

«ونشر الرّياح برحمته» يمكن أن يكون المراد بالرّحمة الأمطار، كالرّحمة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[٥]، ويمكن أن يكون المراد بها ترحّمه تعالى على عباده بنشر الرّياح، فبالرّياح يجيء السّحاب- كما عرفت من الآية- وبالرّياح تلقّح الأشجار، قال تعالى: «وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ»[٦]، وبالرياح تسير السّفن، قال تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ عَلى ظَهْرِهِ﴾[٧]، و لولا الرّياح لزويت النباتات ومات الإنسان والحيوانات وفسدت الجمادات.

والرّياح لا تستعمل غالبا إلّا في الخير، كما في الآيات: ﴿وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ

١- توحيد الصدوق: ٤١ ح ٣.

٢- فاطر: ١.

٣- أخرجه أبوعبيد في غريب الحديث وفضائل القرآن عنهما الكاف الشاف ٢: ٩، وابن جرير وابن الانباري في الوقف والابتداء، وعبد بن حميد في مسنده، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الايمان عنهم الدر المنثور ٣: ٧، و٥: ٢٤٤، ونقله الطوسي في التبيان ٤: ٨٨ عن ابن عباس، وبين الألفاظ اختلاف يسير.

٤- يس: ٨٢ .

٥- الأعراف: ٥٧.

٦- الحجر: ٢٢.

٧- الشورى: ٣٣.

الرِّياحَ﴾[١]، ﴿وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ﴾[٢]، ﴿وَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْراً﴾[٣]، ﴿وَ مَنْ يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً﴾[٤]، ﴿وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ﴾[٥]، ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً﴾[٦]، ﴿وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ﴾[٧].

وممّا جاء للمطلق: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ﴾[٨].

كما أنّ الرّيح الأغلب استعمالها في الشرّ، كما في آيات: ﴿إِذْ أَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾[٩]، ﴿فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قاصِفاً مِنَ الرِّيحِ﴾[١٠]، ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكانٍ سَحِيقٍ﴾[١١]، ﴿كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عاصِفٍ﴾[١٢].

وممّا جاءت للخير: ﴿وَلِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً﴾[١٣]، ﴿فَسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخاءً حَيْثُ أَصابَ﴾[١٤]، ﴿وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ﴾[١٥]، ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾[١٦].

وكذلك ريح بدون اللّام يأتي لهما، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً﴾[١٧]، ﴿رِيحٌ فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ﴾[١٨]، ﴿وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[١٩].

١- الأعراف: ٥٧.
٢- الحجر: ٢٢.
٣- الفرقان: ٤٨.
٤- النمل: ٦٣.
٥- الروم: ٤٦.
٦- فاطر: ٩.
٧- البقرة: ١٦٤.
٨- الكهف: ٤ ٥.
٩- الذاريات: ٤١.
١٠- الاسراء: ٦٩.
١١- الحج: ٣١.
١٢- ابراهيم: ١٨ .
١٣- الأنبياء: ٨١.
١٤- ص: ٣٦.
١٥- سبأ: ١٢.
١٦- الشورى: ٣٣.
١٧- القمر: ١٩.
١٨- الأحقاف: ٢٤.
١٩- الأنفال: ٤٦.

ومما ذكرنا يظهر لك ضعف ما قاله الراغب الاصفهاني في المفردات من انه لم يأت لفظ الرّيح في القرآن إلّا في الشرّ، والرّياح إلّا في الخير[١].

«ووتّد بالصّخور» أي: الجبال

«ميدان» الميدان: الحركة بشدة قال الزبيدي: مَادَ الشيءُ يَمِيدُ مَيْداً ومَيَدَاناً تَحَرَّكَ بِشِدَّة، ومنه قوله تعالى: أَنْ تَمِيد بِكُم[٢]

«أرضه» أي: جعل الجبال أوتادا للأرض لئلّا تضطرب، كأوتاد الخيم لئلّا تضطرب، وإلى ذلك أشير في الكتاب في مواضع، منها: ﴿وَأَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[٣]، ﴿وَ الْجِبالَ أَوْتاداً﴾[٤].

وفي الصخور، أي: الجبال فوائد أخرى غير منع الأرض من الميدان، من كونها معادن للفلزّات والأحجار الكريمة، وخزائن مياه، ومنابت أشجار ونباتات وأزاهير وعقاقير، ومعاقل للناس عن أعدائهم، ومساكن الوحوش والطيور.

من الخطبة الاولى

بعد ما مر : أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَ كَمَالُ مَعْرِفَتِه التَّصْدِيقُ بِه- وَ كَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ- وَ كَمَالُ تَوْحِيدِه الْإِخْلَاصُ لَهُ- وَ كَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ- لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمَوْصُوفِ- وَ شَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ - فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ- وَ مَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَ مَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ- وَ مَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ وَ مَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ- وَ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ وَ مَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ- وَ مَنْ قَالَ فِيمَ فَقَدْ ضَمَّنَهُ - وَ مَنْ قَالَ عَلَا مَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ

«أوّل الدّين» أي: أوّل ما يجب أن يتديّن به.

«معرفته» أي: بالقلب والجنان، قال الرضا عليه السلام في علل رواها عنه الفضل ابن شاذان بسند معتبر:

١- ص ٢١١ مادة: روح .

٢- تاج العروس من جواهر القاموس، ج٥ ، ص: ٢٦٤ ؛ والاية المباركة من سورة النمل الآية ١٥ وسورة لقمان الآية ١٠.

٣- النحل: ١ ٥ .

٤- النبأ: ٧.

فإن قال قائل: فما أوّل الفرائض؟ قيل: الإقرار باللّه وبرسوله وحجّته وبما جاء من عند اللّه. فإن قال قائل: لم أمر الخلق بالإقرار باللّه وبرسوله وحجّته وبما جاء من عند اللّه؟ قيل: لعلل كثيرة، منها: أنّ من لم يقرّ باللّه لم يتجنّب معاصيه، ولم ينته عن ارتكاب الكبائر، ولم يراقب أحدا في ما يشتهي ويستلذّ من الفساد والظلم، وإذا فعل الناس هذه الأشياء، وارتكب كلّ إنسان ما يشتهي ويهواه، من غير مراقبة لأحد، كان في ذلك فساد الخلق أجمعين، ووثوب بعضهم على بعض، فغصبوا الفروج والأموال، وأباحوا الدماء والسبّي، وقتل بعضهم بعضا من غير حقّ ولا جرم، فيكون في ذلك خراب الدّنيا، وهلاك الخلق، وفساد الحرث والنسل[1].

«وكمال معرفته» مضافا إلى معرفته بالقلب.

«التصديق به» أي: الإقرار به باللسان، حتّى لا يكون من الّذين جحدوا بآياته واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا، فإنّ أولئك معرفتهم ناقصة غير كاملة.

«وكمال التّصديق به توحيده» بنفي الشريك عنه، لأنّ من عرف بقلبه أنّ للعالم صانعا، وأقرّ به بلسانه، لكن جعل له شريكا في الايجاد كالثنويّة، ومن قال: هوثالث ثلاثة، تصديقه ناقص لا فائدة فيه.

«وكمال توحيده الإخلاص له» في العبادة، لأنّ من وحّده في الايجاد، لكن جعل له شريكا في العبادة، كالوثنيّة الّذين قالوا في أوثانهم: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى﴾[2]، فتوحيده غير كامل.

«وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه» الزائدة على الذات، كما في الناس.

«بشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف» فعلم زيد غير ذات زيد.

«وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة» فذات عمروغير حلمه، وفي حديث الزّنديق الذي قال للصادق عليه السلام: أ تقول: إنّ اللّه سميع بصير؟ فقال عليه السلام: هوسميع بصير، سميع بغير جارحة، وبصير بغير آلة، بل يسمع بنفسه، ويبصر بنفسه، وليس قولي: إنّه سميع بنفسه أنّه شيء والنفس شيء آخر، ولكنّي أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسؤولا، وإفهاما لك إذ كنت سائلا، فأقول:

١- رواه الصدوق ضمن حديث طويل في علل الشرائع ١: ٢٥٢ ح ٩، والعيون ٢: ٩٧ ح١.
٢- الزمر: ٣.

يسمع بكلّه، لا أنّ كلّه له بعض، لأنّ الكلّ لنا له بعض، ولكن أردت إفهامك والتّعبير عن نفسي، وليس مرجعي في ذلك كلّه إلّا أنّه السّميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات، ولا اختلاف المعنى»[١].

وقيل للباقر عليه السلام: «يزعم قوم من أهل العراق أنّه يسمع بغير الّذي يبصر، ويبصر بغير الّذي يسمع، فقال عليه السلام: كذبوا وألحدوا وشبّهوا، تعالى اللّه عن ذلك إنّه سميع بصير، يسمع بما يبصر، ويبصر بما يسمع»[٢].

الرد على الاشاعرة

وكلامه عليه السلام ككلام عترته عليهم السلام ردّ على الصفاتيّة الّذين يقال لهم اليوم الأشعرية.

قال الشهرستاني في مللة: اعلم أنّ جماعة كثيرة من السّلف كانوا يثبتون للّه تعالى صفات أزليّة من العلم والقدرة، والحياة والإرادة، والسمع والبصر، والكلام والجلال والإكرام والجود والإنعام، والعزّة والعظمة، ولا يفرّقون بين صفات الذات وصفات الفعل، بل يسوقون الكلام سوقا واحدا، وكذلك يثبتون صفات خبريّة مثل اليدين والوجه، ولا يؤوّلون ذلك، إلّا أنّهم يقولون هذه الصفات قد وردت في الشرع فنسّميها صفات خبريّة، ولمّا كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمّي السلف صفاتيّة، والمعتزلة معطّلة، فبالغ بعض السلف في إثبات الصفات إلى حدّ التّشبيه بصفات المحدثات، واقتصر بعضهم على صفات دلّت الافعال عليها، وما ورد به الخبر فافترقوا فيه فرقتين: منهم من أوّله على وجه يحتمل اللّفظ ذلك، ومنهم من توقّف في التأويل... ثمّ ان جماعة من المتأخرين زادوا على ما قاله السلف، فقالوا: لا بدّ من اجرائها على ظاهرها والقول بتفسيرها كما وردت، من غير تعرّض للتأويل ولا توقّف في الظاهر. فوقعوا في التشبيه الصرف ... أمّا السّلف الّذين لم يتعرّضوا للتّأويل ولا تهدّفوا للتشبيه، فمنهم مالك بن أنس، إذ قال: الاستواء معلوم، والكيفيّة مجهولة، والايمان به واجب، والسؤال

١- رواه الكليني في الكافي ١: ١٠٩ ح ٢، والصدوق بطريقين في التوحيد: ١٤٤ ح١٠ و٢٤٥ ح١، وروى هذا الحديث الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٣٢، لكن لا توجد فيه هذه القطعة.

٢- رواه ضمن حديث الكليني في الكافي ١: ١٠٨ ح ١، والصدوق في التوحيد: ١٤٤ ح٩.

عنه بدعة. ومثل أحمد بن حنبل وسفيان الثوري وداود بن علي الاصفهاني ومن تابعهم، حتّى انتهى الزّمان الى عبد اللّه بن سعيد الكلابي، وأبي العباس القلانسي، والحرث بن أسد المحاسبي.

وهؤلاء كانوا من جملة السلف أنّهم باشروا علم الكلام وأيّدوا عقائد السلف بحجج كلاميّة وبراهين أصولية وصنّف بعضهم ودرّس بعض، حتّى جرى بين أبي الحسن الأشعري واستاذه مناظرة في مسألة من مسائل الصّلاح والأصلح، فتخاصما، وانحاز الأشعري الى هذه الطائفة، فأيّد مقالتهم بمناهج كلاميّة، وصار ذلك مذهبا لأهل السّنة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتيّة الى الأشعرية، ولمّا كانت المشبهة والكرامية من مثبتي الصفات عددناهم فرقتين من جملة الصّفاتية»[1].

«ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه»[2] كما هوواضح فمن جعل له قريناً فقد جعله ثاني اثنين ومن جعله ثاني اثنين فقد جعل له اجزاءً.

«ومن قال فيم» كمن قال: إنّه في السماء.

«فقد ضمّنه» أي: جعله في ضمن شيء.

«ومن قال علام» كمن قال إنّه على العرش.

«فقد أخلى منه» أي: غير ذلك الشيء الّذي قال هوعليه، كالكرسيّ مثلا وغيره، قال ابن أبي العوجاء للصادق عليه السلام: أليس اذا كان في السماء كيف يكون في الأرض، وإذا كان في الأرض كيف يكون في السماء؟ فقال عليه السلام: إنّما وصفت المخلوق الّذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الّذي صار اليه ما يحدث في المكان الذي كان فيه، فأمّا اللّه العظيم الشأن الملك الديّان، فلا يخلومنه مكان ولا يشتغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان[3].

١- الملل والنحل للشهرستاني ١: ٨٤ .

٢- هكذا في كل نسخ نهج البلاغة ١: ١٥، وشرح ابن أبي الحديد ١: ٢٢، و شرح ابن ميثم ١: ١٠٦. وعليه فلا وجه لما احتمله العلامة الشوشتري من وقوع التحريف فيه .

٣- رواه الكليني في الكافي ١: ١٢٦ ح ٣، والصدوق في التوحيد: ٢٥٤ ح ٤، و رواه الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٣٥ ضمن حديث طويل، وأخرج الحديث الصدوق في العلل ٢: ٤٠٤ ح ٤ والامالي: ٤٩٣ ح٤ المجلس(٩٠)، والمفيد في الارشاد: ٢٨٠، والكراجكي في الكنز: ٢٢٠، لكن ليس في رواية العلل وما بعدها هذه القطعة.

هذا، وروى (الإرشاد) هذه الفقرات عن الزهري وعيسى بن زيد عن صالح ابن كيسان عنه عليه السلام هكذا: «أوّل عبادة اللّه معرفته، وأصل معرفته توحيده، ونظام توحيده نفي التشبيه عنه، جلّ عن أن تحلّه الصّفات بشهادة العقول أنّ كلّ من حلّته الصفات مصنوع، وشهادة العقول أنّه جلّ جلاله ليس بمصنوع، بصنع اللّه يستدلّ عليه وبالعقول تعتقد معرفته، وبالنظر تثبت حجّته، جعل الخلق دليلا عليه، فكشف به عن ربوبيّته، هوالواحد الفرد في أزليته، لا شريك له في إلهيّته، ولا ندّ له في ربوبيّته، بمضادّته بين الأشياء المتضادّة علم أن لا ضدّ له، وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له»[1].

وروى (العيون والتوحيد وأمالي المفيد وأمالي الشيخ) عن الرضا عليه السلام خطبة في المعنى وهي: «أوّل عبادة اللّه معرفته، وأصل معرفة اللّه توحيده، ونظام توحيد اللّه نفي الصفات عنه، لشهادة العقول أنّ كلّ صفة وموصوف مخلوق، وشهادة كلّ موصوف أنّ له خالقا ليس بصفة ولا موصوف وشهادة كلّ صفة وموصوف بالاقتران، وشهادة الاقتران بالحدوث، وشهادة الحدوث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدوث...»[2].

من الخطبة الاولى

بعد ما مرّ: «كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ – مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ وَ غَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ– فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَ الْآلَةِ– بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ– مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَ لَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً وَ ابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً– بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا وَ لَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا– وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا وَ لَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا– أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا وَ لَاءَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا– وَ غَرَّزَ غَرَائِزَهَا وَ أَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا– عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا– مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَ انْتِهَائِهَا عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا وَ أَحْنَائِهَا «كائن لا عن حدث» لأنّه مكوّن المحدثات.

«موجود لا عن عدم» لأنّه موجد المعدومات.

١- الارشاد للمفيد: ١١٩.

٢- رواه الصدوق في العيون ١: ١٢٣ ح٥١، والتوحيد: ٣٤ ح٢، والمفيد في أماليه: ٢٥٣ ح٤ المجلس (٣٠)، وأبوعلي الطوسي في أماليه ١: ٢٢ المجلس (١).

«مع كلّ شيء لا بمقارنة» قال تعالى: «ما يَكُونُ مِنْ نَجْوى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رابِعُهُمْ وَ لا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سادِسُهُمْ وَ لا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَ لا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ ما كانُوا»[١].

«وغير كلّ شيء لا بمزايلة» «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»[٢].

«فاعل لا بمعنى الحركات والآلة» ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ﴾[٣].

«عارفا بقرائنها» أي: ما يوافقها فيقرنها.

«وأحنائها» في الصحاح: الحنوبالكسر: واحد أحناه، السّرج والقتب، وحنوكلّ شيء أيضا اعوجاجه، ومنه حنو الجبل[٤].

هذا، وقال المجلسي في شرح قوله عليه السلام: «عارفا بقرائنها وأحنائها» إنّه يدلّ على جواز اطلاق العارف عليه تعالى، ومنعه بعضهم[٥].

قلت: إنّما يفهم منه جواز إطلاق عارف اما مقيّداً لا مطلقاً.

خطبة (٤٩)

ومن خطبة له عليه السلام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ- وَ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ- وَ امْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ- فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ- وَ لَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ- سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ- وَ قَرُبَ فِي الدُّنُوِّ فَلَا شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ- فَلَا اسْتِعْلَاؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ- وَ لَا قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ- لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ- وَ لَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ- فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلَامُ الْوُجُودِ- عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ- تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُهُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ- وَ الْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوّاً كَبِيراً.

«الحمد للّه الذي بطن خفيّات الأمور» أي: صار باطنا لها كالظاهرة.

١- المجادلة: ٧.

٢- الشورى: ١١.

٣- القمر: ٤٩.

٤- صحاح اللغة للجوهري ٦: ٢٣٢١ مادة (حنو).

٥- بحار الأنوار ٥٧: ١٨١.

وقال ابن أبي الحديد وتبعه ابن ميثم والخوئي[١]: معنى قوله عليه السلام: «بطن خفيّات الأمور» علم بالبواطن والخفيّات، وهوكما ترى، مع أنّه يأباه قوله عليه السلام بعد ذلک.

«ودلت عليه أعلام الظهور» فإنّه دالّ على أنّ كنهه تعالى وإن كان أخفى الأمور إلّا أنّ وجوده تعالى أجلى الأشياء، وفي غاية الظهور لكثرة شواهده، وتوفّر أدلّته: ﴿سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٢].

وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد[٣]

استحالة رؤية الله تعالى

«وامتنع على عين البصير» أن تبصره وتراه، وعن عاصم بن حميد: ذاكرت الصادق عليه السلام في ما يروون من الرّؤية، فقال: الشّمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءا من نور الستر، فإن كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس، ليس دونها سحاب[٤].

وقال المفيد: لا تصحّ رؤية الباري سبحانه بالأبصار، وبذلك شهد العقل، ونطق القرآن، وتواتر الخبر عن أئمة الهدى عليهم السلام من آل محمّد صلى الله عليه وآله، وعليه جمهور أهل الامامة وعامّة متكلّميهم، إلّا من شذّ منهم لشبهة عرضت له في تأويل الأخبار[٥].

«فلا عين من لم يره تنكره، ولا قلب من أثبته يبصره»

قال ابن أبي الحديد: وقد روي هذا الكلام على وجه آخر، قالوا في الخطبة: «فلا قلب من لم يره ينكره، ولا عين من أثبته تبصره»[٦].

١- شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٢، وشرح ابن ميثم ٢: ١٢٧، وشرح الخوئي ٢: ٧٨.
٢- فصلت: ٥٣.
٣- أورده ابن أبي الحديد في شرحه ٢: ١٤٤.
٤- أخرجه الكليني في الكافي ١: ٩٨ ح ٧، والصدوق في التوحيد: ١٠٨، ح٣.
٥- أوائل المقالات للمفيد: ٦٢.
٦- شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٩٢.

قلت: هوأنسب جدّاً ، فالإنكار ينسب الى القلب، والإبصار الى العين، والأوّل عكسه، ولا يصحّ إلّا بتأوّل، دخل رجل من الخوارج على الباقرعليه السلام وقال له: أي شيء تعبد؟ قال: اللّه تعالى. قال: أرأيته؟ قال: بلى، ولكن لم تره العيون بمشاهدة الأبصار، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان. لا يعرف بالقياس، ولا يدرك بالحواس، ولا يشبّه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات. لا يجور في حكمه، ذلك اللّه لا إله إلّا هو. فخرج الرجل وهويقول: اللّه أعلم حيث يجعل رسالته[١].

«سبق في العلوّ» لكونه خالقا.

«فلا شيء أعلى منه» لأنّ كلّ شيء مخلوق له تعالى.

«وقرب في الدنوّ فلا شيء أقرب منه» حتّى إنّ المحتضر مع قرب أقاربه منه- ذاك الحين- واجتماعهم حوله، هوتعالى أقرب إليه منهم، حتّى يتوفى تعالى نفسه: ﴿فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَ أَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَ لكِنْ لا تُبْصِرُون﴾[٢]، وحتّى إنّ الأجزاء الباطنية للإنسان مع كونها في غاية القرب من صاحبها هوتعالى أقرب إليه منها: ﴿وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[٣]، ﴿يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِه﴾[٤].

«فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه» كما باعد استعلاء السماء على الأرض السماء عن الأرض.

«ولا قربه ساواهم في المكان به» كما ساوى قرب نفرين جارين بينهما في المكان، لأنّ استعلاءه وقربه ليس كاستعلاء بعض الخلق على بعض، وكقرب بعضهم من بعض.

١- رواه الكليني في الكافي١: ٩٧ ح٥، والصدوق في التوحيد: ١٠٨ ح٥، والأمالي: ٢٢٩ ح٤ المجلس (٤٧)، ورواه الطبرسي في الاحتجاج ٢: ٣٢١ عن الباقرعليه السلام، ورواه الاربلي في كشف الغمة ٢: ٤١٨ مترددا عن الباقر أوالصادقعليهما السلام، وروي هذا المعنى عن علي والصادقعليهما السلام كما يأتي في تحقيق حديث ذعلب في شرح الخطبة (١٧٧)، العنوان (٢٣) من هذا الفصل.

٢- الواقعة: ٨٣-٨٥.

٣- ق: ١٦.

٤- الأنفال: ٢٤.

استحالة معرفة كنه الذات الالهية المقدسة

«لم يطلع العقول على تحديد صفته، ولم يحجبها عن واجب معرفته»

قال الصادق عليه السلام للمفضّل بن عمرو: إنّ العقل يعرف الخالق من جهة توجب عليه الإقرار، ولا يعرفه بما يوجب له الإحاطة بصفته. فإن قالوا: فكيف يكلّف العبد الضعيف معرفته بالعقل اللّطيف، ولا يحيط به؟ قيل لهم: إنّما كلّف العباد من ذلك في ما طاقتهم أن يبلغوه، وهوأن يوقنوا به ويقفوا عند أمره ونهيه، ولم يكلّفوا الإحاطة بصفته، كما أنّ الملك لا يكلّف رعيته أن يعلموا أ طويل هوأم قصير، أبيض هوأم أسمر، وإنّما يكلّفهم الإذعان لسلطانه والانتهاء إلى أمره، ألا ترى أنّ رجلا لوأتى الى باب الملك وقال: اعرض عليّ نفسك حتّى أتقصّى معرفتك، وإلّا لم أسمع لك كان قد أحلّ نفسه بالعقوبة؟ فكذا القائل: إنّه لا يقرّ بالخالق سبحانه حتّى يحيط بكنهه متعرّضا لسخطه[1].

«فهو الّذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود» قلت: هونظير قوله عليه السلام في ما يأتي: «المتجلّي لخلقه بخلقه، والظاهر لقلوبهم بحجّته»[2].

مناظرة ابن أبي العوجاء مع الصادق عليه السلام

قال أبومنصور المتطبّب: أخبرني رجل من أصحابي، قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد اللّه بن المقفّع في المسجد الحرام، فقال ابن المقفّع: ترون هذا الخلق؛ وأومأ بيده إلى موضع الطواف؛ ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية إلّا ذلك الشيخ الجالس- يعني: أبا عبد اللّه جعفر بن محمّد عليه السلام - فأمّا الباقون فرعاع وبهائم. فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنّي رأيت عنده ما لم أره عندهم. قال: فقال له ابن أبي العوجاء: لا بدّ من اختبار ما قلت فيه منه. فقال له ابن المقفّع: لا تفعل، فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك. فقال: ليس ذا رأيك، ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إجلالك إيّاه المحلّ الّذي وصفت. فقال ابن المقفّع: أمّا إذا توهّمت عليّ هذا،

١- توحيد المفضل: ١٧٧.

٢- نهج البلاغة ١: ٢٠٦ الخطبة (١٠٦).

فقم إليه وتحفّظ ما استطعت من الزلل، ولا تثن عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقال، وسمه مالك أوعليك.

قال: فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا وابن المقفّع جالسين، فلمّا رجع الينا ابن أبي العوجاء، قال: ويلك يا ابن المقفّع! ما هذا ببشر، وإن كان في الدنيا روحاني يتجسّد إذا شاء ظاهرا، ويتروّح إذا شاء باطنا، فهوهذا. فقال له:

وكيف ذلك؟ قال: جلست إليه، فلمّا لم يبق عنده غيري ابتدأني، فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء،- يعني أهل الطواف- وهوعلى ما يقولون فقد سلموا وعطبتم، وإن يكن الأمر على ما تقولون، وليس كما تقولون، فقد استويتم وهم. فقلت له: يرحمك اللّه، وأيّ شيء نقول، وأي شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلّا واحد. فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحدا وهم يقولون: إنّ لهم معادا، وثوابا وعقابا، ويدينون بأنّ في السماء إلها وأنّها عمران، وأنتم تزعمون أنّ السماء خراب ليس فيها أحد؟ قال: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه، ويدعوهم الى عبادته حتّى لا يختلف منهم اثنان؟ ولم احتجب عنهم، وأرسل اليهم الرسل، ولوباشرهم بنفسه كان أقرب إلى الايمان به؟ فقال لي: ويلك، وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك: نشوءك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوّتك بعد ضعفك، وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحّتك، وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك، وحبّك بعد بغضك، وبغضك بعد حبّك، وعزمك بعد أناتك، وأناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك، وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك. وما زال يعدّد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتّى ظننت: أنّه سيظهر في ما بيني وبينه[1].

١- أخرجه الكليني في الكافي١: ٧٤ ح ٢، والصدوق في التوحيد ح: ١٢٥ ٤.

ومن الشواهد على ما ذكره عليه السلام من إقرار قلب ذي الجحود: أنّ كلّ جاحد إذا انقطع رجاؤه عن الأسباب الظاهرية، وصار إلى الاضطرار يتوجّه إلى مبدئه بلا اختيار: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾[١]، ﴿فَإِذا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[٢].

«تعالى اللّه عمّا يقول المشبّهون به والجاحدون له علوّا كبيرا»

روي عن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين أنّهما حكيا للرضا عليه السلام: إنّ محمّد صلى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة الشاب الموفق في سنّ أبناء ثلاثين سنة – إلى أن قال – فخرّ ساجدا للّه، ثمّ قال: سبحانك ما عرفوك ولا وحّدوك، فمن أجل ذلك وصفوك– إلى أن قال – إن النبيّ صلى الله عليه وآله حين نظر إلى عظمة ربّه كان في هيئة الشاب الموفّق وسنّ أبناء ثلاثين سنة، يا محمّد! عظم ربّي عز وجل أن يكون في صفة المخلوقين. قال: قلت له: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمّد صلى الله عليه وآله، كان إذا نظر الى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب[٣].

وروي عن داود الرّقيّ، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عز وجل: ﴿وَ كانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ﴾[٤]، فقال: ما يقولون؟ قلت: يقولون: إنّه العرش على الماء، والرّبّ فوقه. فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صيّر اللّه محمولا، ووصفه بصفة المخلوق، ولزمه أنّ الشيء الّذي يحمله أقوى منه[٥].

وأمّا قوله تعالى: ﴿الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى﴾[٦] فهومن قبيل قول الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[٧]

١- الروم: ٣٠.

٢- العنكبوت: ٦٥ .

٣- أخرجه الكليني في الكافي ١: ١٠٠ ح ٣، والصدوق في التوحيد: ١١٣ ح ١٣ ضمن حديث طويل، وأخرج معناه أيضا الكليني في الكافي ١: ١٠٦ ح ٨ , والصدوق في التوحيد: ١٧ ح١.

٤- هود: ٧.

٥- أخرجه ضمن حديث الكليني في الكافي ١: ١٣٢ ح٧، والصدوق في التوحيد: ٣١٩ ح١.

٦- طه: ٥ .

٧- أورده لسان العرب ١٤: ٤١٤ مادة (سوا).